

و ماسواها (234)

قراءة نفسية لنكبة ابن رشد!!



sadigalsamarrai@gmail.com

د. صادق السامرائي - الطب النفسي، العراق / أمريكا

"ابن رشد (1126-1198) ، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد ، ولد في قرطبة في بيت إشتهر بالعلم والفقه ، وقد درس الشريعة على الطريقة الأشعرية ، والفقه على المذهب المالكي ، ثم درس الطب والرياضيات والحكمة .

وفي عام 1153 دعاه عبدالرحمان المؤمن أول ملوك الموحدين إلى مراكش ليعاونه على إنشاء معاهد العلم .

إتصل ابن رشد بأبناء زهر وهم من مشاهير الأطباء ، ووضع كتابا في الطب سماه " الكليات" .

وفي مراكش إتصل عن طريق ابن طفيل بالخليفة إبي يعقوب يوسف عبد المؤمن ، وقد أظهر رغبة أمام ابن طفيل ، في أن تفسّر كتب أرسطو وتُخصّ لدفع الشك الذي كان يحوم حولها ، ولما كان ابن طفيل متقدما في السن طلب من ابن رشد أن يقوم بالمهمة .

وفي عام 1169 عينه الخليفة قاضيا لأشبيلية ، فلخص في هذه السنة كتاب " الحيوان" لأرسطو ، وفي عام 1171 عينه أبو يعقوب قاضيا لقرطبة ، وبقي في المنصب أكثر من عشر سنوات ، شرح فيها كتاب "ما بعد الطبيعة" وكتب أخرى ، وفي عام 1182 إستدعاه الخليفة إلى مراكش وجعله طبيبه الخاص ، ثم أعاده إلى قرطبة بوظيفة قاضي القضاة .

وبعد وفاة أبي يعقوب خلفه ابنه أبو يوسف الملقب بالمنصور 1184 ، فلقي ذات الحظوة والإكرام في بادئ الأمر ، وأصبح " سلطان العقول والأفكار ، ولا رأي إلا رأيه ، ولا قول إلا قوله" ، مما أثار حسد الفقهاء والمتزمتين وحقدهم فرموه بالكفر والزندقة ، فتمكنوا من قلب الخليفة عليه ، وقرروا أن تعاليمه كفر محض ، ولعنوا من يقرأها ، وقضوا عليه بالنفي ، فنفي إلى قرية "اليسانة" خمسين كيلومترا جنوب قرطبة ، وأمر الخليفة بحرق كتبه وكتب الفلسفة ، وحظر الإشتغال بالفلسفة والعلوم ما عدا الطب وعلم النجوم والحساب .

ولما كان الخليفة المنصور في حرب طاحنة مع ملك قشتالة فإنه كان بحاجة لرضى الشعب ومؤازرته ، فإتخذ الموقف العدائي من ابن رشد بموجب توجيهات الفقهاء الذين يكفرون الفلاسفة ،

"ابن رشد (1126-1198) ، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد ، ولد في قرطبة في بيت إشتهر بالعلم والفقه ، وقد درس الشريعة على الطريقة الأشعرية ، والفقه على المذهب المالكي ، ثم درس الطب والرياضيات والحكمة .

بعد وفاة أبي يعقوب خلفه ابنه أبو يوسف الملقب بالمنصور 1184 ، فلقي ذات الحظوة والإكرام في بادئ الأمر ، وأصبح " سلطان العقول والأفكار ، ولا رأي إلا رأيه ، ولا قول إلا قوله" ، مما أثار حسد الفقهاء والمتزمتين وحقدهم فرموه بالكفر والزندقة

نحن أمام فقيه عارفه وعالم موسوعي حاذق ومتميز ، تأمر عليه الفقهاء الذين لا يدانونه بمعرفة وعلم فكّروه وألبوا السلطان عليه

أن التقرب من مركز القوة فيه

مخاطر وهو أشبه بالمجازفة
المريرة العواقب , وقد حذرت
العرب من الإقتراب من
السلطين والملوك , لأنهم لا
يرحمون عندما يتعلق الأمر
بسلطانهم , ولا يمكنهم أن
يتحملوا أي تهديد حتى ولو
كان متخيلا أو متوهما

معظم العقول العربية التي أزرى
بها كانت قريبة من السلطين ,
كما هو الحال مع ابن رشد

حاشية السلطان مجارة عن وحوش
سابعة تتنافس على نيل الحظوة
والجاه والمقام عنده , وهذه
منافسة حامية دائمة تتسبب
بقتل وترويع وإمحاق

لكل حاكم عمائم تسوّغ له ما يقوم
به وتحشد العامة لتكون معه
وتدين بالولاء له , فهو يعتمد
على أصحاب العمائم في توطيد
حكمه , ولهذا تجدهم يحومون
حول الكرسي في جميع الأزمان

بما أن أنظمة الحكم فردية
وتمطي الدين كوسيلة للقبض
على مصير الناس وحكمهم , فإن
ذوي العمائم هم الحكام
الفعليون في تاريخ العرب.

العامة في نظرهم مجارة عن
قطيع يجب تجهيله وتجهينه
ليكون لعبة في أيديهم ,
ودمية يركونها كيفما يشاؤون

وكانت نعمة الخليفة عليه إرضاءً لخصومه , فإقتصرت على النفي وليس الإعدام أو القتل المروع
كما حصل لغيره , وعندما عاد الخليفة إلى مراکش وتحرر من ضغط علماء الدين في الأندلس ,
عفا عن ابن رشد , وإستقدمه وأعادته إلى سالف نعمته , لكن هذه النكبة قد أثرت تأثيرا عميقا في
ابن رشد , فلم يعمر طويلا بعد العفو عنه وتوفي بعد بضعة أشهر عام 1198"

هذا ملخص عنه من كتابه - فصل المقال ما بين الحكمة والشريعة من الإتصال - (قدم له
وعلق عليه الدكتور البير نصري نادر , الطبعة الثانية , دار المشرق ابيروت لبنان 1986)

فنحن أمام فقيه عارف وعالم موسوعي حاذق ومتميز , تأمر عليه الفقهاء الذين لا يدانونه
بمعرفة وعلم فكّروه وألبوا السلطان عليه , ولولا تأريخه وعراقة عائلته ودورها في الحياة لأمر بقتله
, لكنه إكتفى بالنفي وحرقت الكتب ومنع فلسفته من الإنتشار .

ويبدو أن السلطان قد شعر بخطأ قراره وأنه كان سياسيا ومرحليا فعاد عنه , بعد أن أزرى
بابن رشد وأوجعه نفسيا وفكريا وأصابه بياس وإحباط وإنكسار , لأنه قد أشعره بفقدان الأمل بالأمة
التي عليها أن تتير .

وربما يكون للكآبة وشدة ما لاقاه من الحيف والضغط النفسي والفكري , والإقصاء المعنوي
الأليم والإعدام القاسي لكتبه , والمنع المطبق على أفكاره , وتكفيره ونبذ ورديه بالزندقة , وهو من
العارفين بالفقه والدين , أثر موجه ودور في تسريع وفاته بعد إصدار العفو عنه .

وفي هذا الموقف تظهر آليات الشد النفسي الوراثي الذي يشبه جاذبية الأرض التي تسقط
الأشياء فوقها , ولا يمكنها أن تخرج من قبضتها إلا بقوة دافعة متفوقة عليها , والعجيب في
السلوك البشري أن قوى الشد الوراثي تتراكم بسرعة فلا يجد المنطلق بعكسها إلا نفسه لوحده في
الإتجاه الذي سلكه .

وهذه طبيعة نفسية سلوكية قاهرة فاعلة في مسيرات الأجيال البشرية وفي كافة المجتمعات
والشعوب والأمم , فالذي يأتي بجديد تنهض بوجهه هذه القوى وفي أكثر الأحيان تصده , ولا
يُعرف تفسيرها واضحا لهذه الظاهرة السلوكية الكامنة في البشر .

كما أن التقرب من مركز القوة فيه مخاطر وهو أشبه بالمجازفة المريرة العواقب , وقد حذرت
العرب من الإقتراب من السلطين والملوك , لأنهم لا يرحمون عندما يتعلق الأمر بسلطانهم , ولا
يمكنهم أن يتحملوا أي تهديد حتى ولو كان متخيلا أو متوهما , ومعظم العقول العربية التي أزرى
بها كانت قريبة من السلطين , كما هو الحال مع ابن رشد , لأن حاشية السلطان عبارة عن
وحوش سابعة تتنافس على نيل الحظوة والجاه والمقام عنده , وهذه منافسة حامية دائمة تتسبب
بقتل وترويع وإمحاق , لأن البشر قد كثر عن أمارات السوء التي فيه , وتحول إلى وحش كاسر
بمظهر آدمي .

والعامل الفاعل في مسيرة الحكم العربي أن لكل حاكم عمائم تسوّغ له ما يقوم به وتحشد

العامة لتكون معه وتدين بالولاء له ، فهو يعتمد على أصحاب العمامة في توطيد حكمه ، ولهذا تجدهم يحومون حول الكراسي في جميع الأزمان ، ويتبع الحاكم أو السلطان رؤاهم وفتواهم ولا يجيد عنها خوفا منهم لأنهم قد يؤلبون العامة عليه.

وبما أن أنظمة الحكم فردية وتمتطي الدين كوسيلة للقبض على مصير الناس وحكمهم ، فإن ذوي العمامة هم الحكام الفعليون في تاريخ العرب.

والعامة في نظرهم عبارة عن قطيع يجب تجهيله وتدجينه ليكون لعبة في أيديهم ، ودمية يحركونها كيفما يشاؤون ، وعندما يأتي فقيه عليم كإبن رشد ويريد أن يحث الناس على أعمال عقولهم ، والخروج من الإستعباد بالجهل والتبعية والخنوع ، فإن في ذلك تهديد خطير لمصالح العمامة ، فيجتهدون في تحريفه وتحويره وتطويره ليكون تهديدا للحاكم أو السلطان ، وبهذا تسعى العمامة لطرح رأبها الذي تراه متوافقا مع إرادة السلطان ، فتقضي بما تقضي وتسعى لإقناع الحاكم بأن هناك خطر كبير يهدد حكمه عليه أن يتخلص منه قبل أن يستفحل ويبيد مجده الأثيل.

ومن الواضح أن العلوم والمعارف كانت نخبوية أو للخاصة والمقربين من مركز القوة والحكم ، ولم تكن يوما للعامة ، الذين عليهم أن يُجْهَلوا ويُعْطَلوا عقولهم ويتبعوا عمامة مضللة وداعية للإذعان لإرادة السلطان ، فالعامة محرم عليها المعرفة والعلم ، ولا يحق لها أن تسأل أو تفكر بل أن تنفذ وتلقي بالمسؤولية على العمامة الفاعلة فيها والسلطان الذي بيده تقرير مصيرها ، والسلطان يعبر عن إرادة الله في خلقه ، وهو المنفذ لشرعه والحامي لدينه الذي على الناس أن تؤدي طقوسه بإحكام.

وليس من السهل تفسير هذا الإحتكار المعرفي والعلمي في المسيرة العربية ، وعدم الإنطلاق بتأسيس المراكز التعليمية في المدن والحواضر آنذاك ، فالعلماء العرب ربما تجمعهم صفة الأناثية الشديدة ويمعنون بالخصوصية والإحتكارية العلمية والمعرفية ، ولم يجتهدوا ويوظفوا قدراتهم في إنشاء جيل من العلماء والعارفين والقادرين على التواصل والنماء ، وإنما حصروا نشاطاتهم حول الكراسي المتنفذة في زمانهم ، وقد يكون نشر العلم من المحرمات على العامة وفقا لفقهاء العمامة.

أي أنهم ربطوا مصيرهم ومصير علومهم بالكراسي ، ولولا جهود النساخين وحيلهم في إخفاء بعض الكتب التي ألفها العلماء العرب ، لما تمكنا من العثور على أثر لهم ، فحالما يغضب عليهم الكرسي بتحريض من العمامة فأنهم سيكفرون ، وما أنتجوه يكون في جوف النار والاندثار.

وهذه خطيئة إبن رشد كغيره من الذين سبقوه والذين جاؤوا من بعده ، ولهذا لاتوجد قاعدة معرفية وعلمية منتشرة في الأجيال العربية ، ولهذا السبب الأساسي دخل العرب في عصور مظلمة أشد ظلاما من عصور أوربا في القرون الوسطى ، فعم الجهل والتجهيل والمتاجرة بالدين من قبل الأعداء والجهلاء والدجالين الذين أزرؤا بهيبة الأمة ومقامها ودورها الحضاري.

فلو كان العلماء العرب ذوي نظرة مستقبلية وقدرة على ترسيخ العلوم والمعارف في أذهان الأجيال لما أصاب العرب ما أصابهم ، ولحملوا رايات العلم وطوروا منذ زمان بعيد جدا ، بدلا

عندما يأتي فقيه عليم كإبن رشد ويريد أن يحث الناس على أعمال عقولهم ، والخروج من الإستعباد بالجهل والتبعية والخنوع ، فإن في ذلك تهديد خطير لمصالح العمامة ، فيجتهدون في تحريفه وتحويره وتطويره ليكون تهديدا للحاكم أو السلطان

العامة محرم عليها المعرفة والعلم ، ولا يحق لها أن تسأل أو تفكر بل أن تنفذ وتلقي بالمسؤولية على العمامة الفاعلة فيها والسلطان الذي بيده تقرير مصيرها

السلطان يعبر عن إرادة الله في خلقه ، وهو المنفذ لشرعه والحامي لدينه الذي على الناس أن تؤدي طقوسه بإحكام

العلماء العرب ربما تجمعهم صفة الأناثية الشديدة ويمعنون بالخصوصية والإحتكارية العلمية والمعرفية ، ولم يجتهدوا ويوظفوا قدراتهم في إنشاء جيل من العلماء والعارفين والقادرين على التواصل والنماء

لولا جهود النساخين وحيلهم في إخفاء بعض الكتب التي ألفها العلماء العرب ، لما تمكنا من العثور على أثر لهم

لو كان العلماء العرب ذوي

من واقع الحال المتخلف الرديئ الذي يعانون منه.

ومن الواضح أن هناك خطوط حمراء تعتاش عليها العمائم كافة ولا يمكن تجاوزها , حتى ولو أن المتجاوز لها عارف بالفقه والدين كإبن رشد , لأن في ذلك تهديد خطير للمصالح المعممة , والمستثمرة بالتجهيل وتعطيل العقل , والإرتهان بالنص الديني كما بدى ولا يجوز القول بغير ما تعارف عليه الناس وفقا لآليات قال فلان وذكر فلان , وإن إستحضرت العقل فأنت كافر وزنديق , وتريد تمزيق الأمة والعدوان على الدين.

ويمكن القول أن نكبة إبن رشد هي نكبة أمة بكاملها , كما أن نكبة غيره من العلماء العرب هي نكبات أمة أصابتها بمقتل لأنها عطلت عقول أجيالها , وأفهمتها أن التفكير من المحرمات والسؤال من الممنوعات , وأن التبعية دين والإذعان من الإيمان , والخنوع للسلطان هو عين الحكمة والعقل.

هذه النكبات المتعاقبة للعقول العربية المنيرة , أصابت الأمة بالرقود المزمن وبالأمراض السلوكية الخطيرة , التي توارثتها على أنها حالات مستوطنة ومستعصية عليها أن ترتعن بها ولا تفكر بالشفاء منها لأن التفكير ممنوع , ولا تزال الأمة تعاني من تداعيات نكباتها الفكرية والعقلية , وتتخبط في ما نجم عنها من إنحرافات وتصورات وتفاعلات دامية ومرعبة , لا تجد للعقل فيها دورا وتأثيرا , ولا تزال العمامة هي الفاعل المطلق المقرر للمصير العربي في أي مكان.

وهي تمثل إشكالية معقدة فاعلة في الوعي العربي على مر الأجيال , ومهيمنة على الرؤى والتصورات ومحددة لقدرات التفكير والإبداع , ولا تزال تتخر في وعي الأمة وتمزقها , وما تمكنت الأمة من الوقوف إزاءها بعقل منفتح وتفكير علمي معاصر , يتصدى لها كمشكلة تستدعي حولا عملية ذات قيمة حضارية , بل أن المفكرين العرب يكررون التحليل والتعمق في موضوعاتها ويأبون قراءتها كمشكلة وإنما كأشكالية ويعفون أنفسهم من التفكير بالحل.

ولابد من القول بقوة أنها مشكلة عقلية نفسية سلوكية مهيمنة على وعي الأمة وفاصلة لها عن تيار الزمان وواقع المكان , ومغطسة لوجودها في وحل البهتان.

فحيثيات النكبة الرشدية تتلخص في إستعمال العقل لصناعة الحياة ومواجهة التحديات , والتفاعل مع التطورات الحاصلة والمواكبة مع تيار الوجود الجاري بعنفوان وفقا لإرادة الدوران , التي تفرض تغيرات وتبدلات تستدعي عقلا متوصلا معها , لكي تتقدم الحياة وتنتور الأذهان وتستترشد البصائر بوضوح الرؤية بدلا من التيهان.

وإذا إقتربنا للموضوع من جميع الزوايا فأن العقل لابد له أن يعمل لكي تستمر الحياة , وفقا لمناهج كونية تؤكد التطور والرفاء والإنتلاق الخلاق في آفاق الفضاء المتسع , وإن نظرنا إليها من زاوية دينية , فلا حاجة لإستحضار الآيات المتعددة التي تشير لضرورة إستعمال العقل , ويمكن الإكتفاء بكلمة " إقرأ" التي هي فعل أمر وتعني في جوهرها أن يعمل العقل بطاقته القصوى

نظرة مستقبلية وقدرة على ترسيخ العلوم والمعارف في أذهان الأجيال لما أصاب العرب ما أصابهم

أن نكبة إبن رشد هي نكبة أمة بكاملها , كما أن نكبة غيره من العلماء العرب هي نكبات أمة أصابتها بمقتل لأنها عطلت عقول أجيالها

لابد من القول بقوة أنها مشكلة عقلية نفسية سلوكية مهيمنة على وعي الأمة وفاصلة لها عن تيار الزمان وواقع المكان , ومغطسة لوجودها في وحل البهتان

إذا إقتربنا للموضوع من جميع الزوايا فأن العقل لابد له أن يعمل لكي تستمر الحياة , وفقا لمناهج كونية تؤكد التطور والرفاء والإنتلاق الخلاق في آفاق الفضاء المتسع

يمكن الإكتفاء بكلمة " إقرأ" التي هي فعل أمر وتعني في جوهرها أن يعمل العقل بطاقته القصوى , لأن القراءة نشاط عقلي بحاجة إلى بقة وتفكير وحضور إدراك.

قد قرأت كتبه إبن رشد وتمعننت فيها بأحدنا عمّا يفهمه , وما وجدت إلا منطق عالم موسوعي بالدين , وفقهه خائق ومتمرس يطرح عبارات خائفة

, لأن القراءة نشاط عقلي بحاجة إلى يقظة وتفكير وحضور إدراك.

وقد قرأت كتب ابن رشد وتمعنت فيها باحثاً عما يكفره , وما وجدت إلا منطق عالم موسوعي بالدين , وفيه حاذق ومتمرس يطرح عبارات ذات كثافة فكرية عالية , متدفقة من عقل متطور وإدراك عرفاني سامي وخلاق , وما يذهب إليه هو أن يكون العقل مشاركا في تعزيز الإيمان والتفاعل الإبداعي مع الحياة بتساؤلاتها المتنوعة , والتي لا تحيد عن منطق الكون وخالقه العظيم.

ولا يوجد ما يستلزم تكفيره ونفيه وحرق كتبه فيما ذهب إليه ورأه , فكيف إستطاع المناوؤن لابن رشد أن يكفروه , وهو أعلمهم بالفقه والدين والقرآن والعلوم الأخرى!؟

إنها مأساة الإجهاز على العقل العربي المنير بإسم المتاجرة السياسية بالدين!!؟

والخلاصة أن علينا أن نستخلص الدروس من نكبة ابن رشد , لا أن نستحضرها حرفيا , لأن في ذلك مخاصمة لمنهجه في إطلاق حرية العقل للتفاعل مع الذات والموضوع , والتواصل مع المستجدات والتطورات والمتغيرات الحاصلة فوق أرض تدور .

وقل عاش العقل , يا أمة يعقلون!!

إرتباط كامل النص:

<http://www.arabpsynet.com/Samarrai/DocSamarraiWaMaSawahaa234-180319.pdf>

*** **

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيقا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/>

المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com>

*** **

الكتاب السنوي 2019 1 " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار السادس)

الشبكة تطفئ شمعتهما الثامنة عشر وتدخل عامها التاسع عشر من التأسيس

18 عاما من النجاح... 15 عاما من العطاء "

(التأسيس: 2000/01/01 - على الويب: 2003/06/13)

(رابط الكتاب)

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf>



شبكة علوم النفس العربية

نحو لياقة نفسانية أفضل

مؤسسة العلوم النفسية العربية
معا ... نذهب أبعد

كثافة فكرية عالية , متدفقة
من عقل متطور وإدراك عرفاني
سامي وخلاق

لا يوجد ما يستلزم تكفيره ونفيه
وحرق كتبه فيما ذهب إليه ورأه
, فكيف إستطاع المناوؤن لابن
رشد أن يكفروه , وهو أعلمهم
بالفقه والدين والقرآن والعلوم
الأخرى!؟

إنها مأساة الإجهاز على العقل
العربي المنير بإسم المتاجرة
السياسية بالدين!!؟